عظة الخوري مارون خالد

في القدّاس الإلهيّ من أجل الراقدين على رجاء القيامة

في الذكرى الثامنة لانطلاقة جماعة "أذكرني في ملكوتك"

كنيسة القدّيسة مورا – بيادر رشعين

٢٠١٧/٩/٢٤

باسم الآب والابن والرّوح القدس، الإله الواحد، آمين.

في هذا اليوم، أي في الرابع والعشرين من أيلول، تحتفل الكنيسة بعيد القدّيسة تقلا أولى الشهيدات. وبحسب الذّاكرة المسيحيّة، يُحكى عن هذه القدّيسة أنّها رُمِيَت للوحوش، لكنَّ الوحوش سجدت لها ولم تَمُسَّها بأيِّ أذى. كما يصادف اليوم أيضًا، عشيَّة القدّيسة مورا، شفيعة رعيّتنا الحبيبة. وفي ظلّ هاتين المناسبتين، نجتمع اليوم معًا للصّلاة من أجل أبناء الرعيّة الّذين سبقونا إلى السّماء.

إنّ هذه العادة، الصّلاة من أجل أمواتنا، قد تمّ توارُثُها مِن الكهنة الأقدمِين، وقد فعَّلها الكهنة الجُدُد في رعيّتنا الحبيبة، وبخاصّة مع أبونا الزاعوق، رحمات الله عليه، كما نطلب من الله أن يُطيل عُمر أبونا عويس، الّذي يُتابع مسيرة الصّلاة هذه في رعيّتنا. إخوتي، في كلّ شهر، مع جماعة "أذكرني في ملكوتك"، نصلّي من أجل إخوتنا الراقدين إذ إنّهم ليسوا محذوفين بالنسبة لنا عن لائحة الأحياء، لأنّهم ما زالوا أحياء في السّماء غير أنّهم ما عادوا مِن المؤمِنين المُجاهِدين على هذه الأرض. إنّنا لا نزال نحن، المؤمِنين الحاضرين ههنا، مِن أبناء الكنيسة المُجاهدة على هذه الأرض، أمّا أمواتنا فلا، لأنَّ جهادهم على هذه الأرض قد انتهى، وقد تحوّل جهادهم الأرضيّ إلى جهادٍ أعمق، إذ أصبحوا شُفعاءنا في السّماء. إنّ القول إنّ أمواتنا قد أصبحوا شُفعاء لنا في السّماء، لا يعني أبدًا أنّه لا يجب بعدئذٍ أن نُصلّي لهم بل على العكس من ذلك تمامًا، إذ علينا أن نُصلّي لهم لأنّنا نشترك وإيّاهم بواسطة يسوع المسيح في سلسلة واحدة مترابطة متينة. إنّ صلواتِنا من أجل أمواتنا، المنتقلين إلى عالم الأحياء في السّماء تُستجاب، كما أنّ الله يستجيب لشفاعتهم، بسبب هذا الرباط الّذي يجمع بين أهل الأرض وأهل السّماء ألا وهو يسوع المسيح.

إنّ صلاتنا من أجل أمواتنا ليست فقط مجرَّد عادات وتقاليد وَرِثناها مِنَ الأقدمين: فنحن لا نذكر أمواتنا خجلاً من التعرُّض للملامة مِن قِبَل الآخرين، في حال لم نفعل ذلك؛ ولا نذكرهم كي نسمع مِن الآخرين كلمات التعزية كـ"رحمهم الله"، بل نذكرهم لأنّ ارتباطنا بهم لم ينتهِ بانتقالهم من هذه الفانية، فيسوع المسيح قد جعل هذا الرباط الّذي يجمعنا بأمواتنا متينًا. ولذا نستطيع أن نذكرهم في صلواتنا وقداديسنا لأنّ ارتباطنا بأمواتنا مبنيّ على يسوع المسيح، ونحن

نطلب من الله الرّحمة والراحة لنفوسهم. إنّ كلمات التعزيّة الّتي نسمعها مِن البشر هي مجرّد كلماتٍ ذات بُعد عاطفي وإنسانيّ، نابعٍ من محبّة الآخرين، وتعبّر عن التقوى المسيحيّة. إنَّ هذا الارتباط الّذي يجمعنا بأمواتنا بواسطة يسوع المسيح، يحوّل صلاتنا لهم إلى صِلةٍ بيننا وبينهم، وشفاعتُهم لنا تتحوّل إلى مسيرة استهطال نِعَمٍ إلهيّة علينا نحن الأحياء في هذه الأرض.

إنّنا بحاجة ماسّة إلى نِعَم السّماء، ولا أحد أفضل من أبناء هذه الأرض الّذين انتقلوا من بيننا إلى السّماء للتَشَفُّع لنا عند الله الآب إلّا يسوع المسيح. فيسوع المسيح هو الشَّفيع الأوّل ووسيطنا الوحيد عند الله الآب إذ إنّه اتّخذ طبيعتنا البشريّة وصار قريبًا منّا نحن البشر، ومنحنا بموته الخلاص، فأدخَل طبيعتنا الضعيفة والخاطئة إلى السّماء. إنّ حصولنا على الملكوت، نحن الخطأة يُشكِّل دينونة لنا، غير أنّه لا يجب أن ننظر إليها على هذا النّحو لأنّ يسوع المسيح قد وهبنا بحبِّه هذه النِّعمة، إذ إنّه أحبّنا للغاية، ومنحنا الحياة الأبديّة بموته على الصّليب. إنّ زمن الصّليب، هو زمن الشَّهادة والاستشهاد، فالربّ يسوع الّذي صُلب على خشبة الصّليب،كان الشَّهيد الأوّل، وقد شكَّل لنا قدوة نحتذي بها في حَملِ صُلباننا في هذه الحياة. لقد استُشهِدَت القدّيسة مورا حبًّا بيسوع، وغيرها كثيرون: كالقدّيس تيموتاوس والقدّيسة تقلا، والقدّيسين الشَّهيدين سركيس وباخوس اللّذين سنحتفل بعيدهما في الأيّام القليلة القادمة. إنَّ قافلة الشُّهداء في الكنيسة كبيرةٌ جدًّا، وخاصّة أنّه في القرون الأولى لنشوئها، عانت الكنيسة من الاضطهاد لمدّة ثلاثمائة وأربع عشرة سنةٍ متواصلة. إنّ وسائل التعذيب والقتل الّتي تعرّض لها المسيحيّون الأوائل متنوعة: كالحرق، والرمي بالزيت، والموت صلبًا أو بالرِّماح، أو بقطع الرأس. إنّ شهادة المؤمن للربّ لا تقتصر فقط على شهادة الدّم إنّما أيضًا على الشهادة اليوميّة في حياته في قلب مجتمعه، من خلال سلوكه وتصرُّفه مع الآخرين. إنَّ أبواب الجحيم لن تقوى على الكنيسة لأنَّها بُنِيَتْ على دمّ الشُّهداء وبخاصّة على دمّ الشهيد الأوّل فيها، يسوع المسيح، الّذي جمع بدمائه الزكيّة بين أهل الأرض وأهل السّماء.

في هذا الزّمن المبارك، زمن الصّليب، نحتفل أيضًا بعيد الشهيدة القدّيسة مورا. إنّ الصّليب هو أبهى صورة للشهادة والاستشهاد. إنّ المؤمن مدعوّ للاستشهاد يوميًّا، فإنّه إن لم يُعلَّق على الصّليب ويموت، فإنّه حتمًا سيُعلَّق على صُلبان هذا الدّهر، فتكون حياته شهادةً للربّ. إنّ الربّ يسوع منحنا بحبّه الخلاص، إذ لا خلاص لنا إلّا بيسوع المسيح. ولكن هذا لا يعني أنّ غير المسيحيّين لا يَخْلُصون، فالربّ يسوع قد شمل بحبِّه جميع البشر. ولكن الفرق بين المؤمِنين بالربّ يسوع وسواهم، هو أنّ المؤمنين بالربّ يختبرون مُتعة ولذّة العيش مع الربّ منذ الآن، وهم يسيرون في هذه الحياة صوب لقاء الحبيب في الملكوت السماويّ؛ أمّا غير المؤمِنين فلا يختبرون ذلك، إذ إنّ حياتهم تُشكِّل مسيرة صوب المجهول لأنّهم لم ينالوا الأسرار المقدّسة، كالعماد والافخارستيّا، ولم يتعرّفوا إلى الربّ من خلال إنجيله المقدَّس. صحيحٌ أنّنا نُصلّي لأمواتنا القدّيسين الشهداء ونطلب شفاعتهم، غير أنّه في ما بيننا، نحن المؤمنين الأحياء في هذه الأرض، شهداءُ أحياء يعكسون صورة يسوع في مجتمعهم. يشهد المؤمِن ليسوع المسيح في مجتمعه عندما يشهد وعائلته للحبّ،

وعندما يدافع عن القضايا المحقّة ولو أدّى به ذلك إلى الاستشهاد الدّموي. على المؤمِن أن يكون علامةً فارقة في مجتمعه من خلال سلوكه، فيدفع الكثيرين من حوله إلى التساؤل حول مصدر هذا الفرح الحقيقيّ الّذي لا يزول على الرّغم من الضِّيقات. إنّ المؤمِن الّذي يعيش حياةً لا تدفع الآخرين إلى التساؤل حول مصدر الفرح الّذي يعيشه، هو كالمِلح الّذي لا يُملِّح الّذي تكلَّم عنه الإنجيل، وهو أيضًا النّور الّذي وُضِع تحت المكيال إذ لا يعكس في حياته نور المسيح الموجود في داخله. على كلمة المسيح يسوع أن تكون مُحقَّقة في كلّ مؤمن فيكون الملح الّذي يُعطي طعمًا لمجتمعه، والنّور الّذي يُضيء هذا العالم المُظلِم الّذي يعيش فيه.

إنّ وجود المسيحيّين في هذا الشرق وفي هذا العالم، ضروريّ جدًّا لأنّه يُشكِّل انعكاسًا لصدى صوت المسيح على هذه الكرة الأرضيّة الّتي نعيش فيها. إنّ كلّ مسيحيّ هو مشروع شهادة واستشهاد في عالمنا، وبالتّالي مشروع قداسة، إذ على كلّ مؤمِن أن يكون شاهدًا للربّ يسوع في بريّة هذا العالم، تلك البريّة القاحلة بفعل ابتعاد أبناء هذه الأرض عن الحقيقة ألا وهي: يسوع المسيح. نُصلّي إلى الله من أجل كلّ شهدائنا، كما نطلب منه بشفاعة هذه القدّيسة الشهيدة الّتي عانت من الجراحات أن تكون قدوةً لكلّ مرضانا فيحملوا جراحاتهم وآلامهم على مثالها مشاركين المسيح في آلامه. وفي أجواء الصّلاة هذه، نتّحِد بالصّلاة مع جماعة "أذكرني في ملكوتك"، الّتي انطلقت في رعيّتنا، رعيّة مار مارون، منذ تسع سنوات. إنطلقت هذه الجماعة في رعيّتنا لتُذكّرنا أنّ صِلَتنا بأمواتنا ليست مقطوعة أبدًا، ولذا علينا أن نصلّي لهم دائمًا، إذ إنّ مَن سبقونا على دروب السّماء هم أحبّاؤنا وأصدقاؤنا.

إنَّ الصّلاة من أجل أمواتنا ما هي إلّا توطيد لعلاقة الصداقة الّتي تجمعنا بهم بواسطة يسوع المسيح. وهل أفضل مِن الصَّديق كي يُصلّي لصديقه؟ إنّ أمواتنا قد أصبحوا في السّماء، أي أنّهم قدّيسون وبالتّالي شُفعاء لنا عند الله. وعندما نُصلّي لهم نحن الأحياء على هذه الأرض، فإنّنا بهذا الفعل، نصرخ إلى الربّ يسوع الفادي والمخلِّص من أجلهم كي يُخلِّصهم من عذاباتهم ويفديهم. إخوتي، علينا أيضًا ألّا ننسى أن نُصلّي لكلّ النّفوس المنقطعة في قريتنا، ونحن نعلم أنّ هناك بعض الأشخاص الّذي توفُّوا ولم يعد لديهم أحد ليذكرهم في هذه الدّنيا في صلاته. لذا، فلنطلب من الكاهن أن يُصلّي لهم ذاكرين أسماءهم، ومقدّمين الذبائح الإلهيّة من أجل راحة نفوسهم. وإضافةً إلى الذبائح الإلهيّة، يمكننا أن نُقدِّم أصوامًا لأجلهم، كما يمكننا أن نقوم بأفعال رحمة على نيّة أمواتنا وخصوصًا على نيّة الأنفس المنقطعة، كما يمكننا أيضًا أن نقدّم لأجلهم مسابِحنا الّتي نُصلّيها.إنّ هذه الصّلوات هي ذات فعاليّة كبرى عند أمواتنا، وهي أفضل من حبوب دواءٍ كثيرة كُنّا نُقدِّمها لهم للتّخفيف من آلامهم حين كانوا على هذه الأرض، وأفضل من الطّعام الماديّ الأرضيّ الّذي كُنّا نُقدِّمه لهم حين كانوا لا يزالون بيننا. إنّ جوعهم اليوم لم يعد إلى الطّعام إنّما إلى الصّلاة إذ إنّهم يتشوّقون للُقيا الحبيب وجهًا لوجه.

أحبّائي، صلاتي اليوم، هي من أجل أن تبقى تلك الصِّلَة قائمة بين الكنيسة المجاهدة والكنيسة الممجدّة في السّماء، أي بين المؤمنين الأحياء الّذي لا يزالون يُجاهدون على هذه الأرض، وبين الّذين سبقونا إلى الملكوت السّماوي. لذا

نحن اليوم، في هذا المكان المقدّس نصلّي لأجل أمواتنا، كي يرحمهم الربّ، كما نطلب شفاعتهم، وبالتّالي تستمِرّ مسيرة الصَّلاة بين أهل الأرض وأهل السّماء. إنّ صلاتنا من أجل أمواتنا من شأنها أن تجعل تلك المسيرة مستمِرَّة إذ علينا أن نعلِّم أبناءنا وأحفادنا الصّلاة لأجل الرّاقدين، فنجد مَن يُصلّي لنا حين انتقالنا من هذه الأرض، وتبقى تلك المسيرة مستمِرَّة إلى أن يأتي مجد الربّ بالمجيء الثاني، فيُظهر مجده إلى كلّ الّذين عرفوا أنّه الفادي والمُخلِّص، ولم يعترفوا بسواه مُخلِصًا لهم. إنّ يسوع المسيح هو الباب الوحيد الّذي يستطيع المؤمِن من خلاله الدّخول إلى الملكوت. إنّ الربّ سيكون ممجَّدًا يوم ظهوره لا من خلال حياة المؤمِنين وحسب، إنّما من خلال اعترافاتنا، ومواقفنا والتزاماتنا اليوميّة الّتي تُشير إلى إيماننا به. آمين.

ملاحظة: دُوِّنت العظة مِنْ قِبَلِنا بتصرّف.